

الحديث الحادي والثلاثون «الزهد طريق المحبة»

عن ابي العباس، سهل بن سعد الساعدي (رضي)، قال: جاء رجل الى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، دلني على عمل اذا عملته احبني الله واحبني الناس، فقال: ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس، يحبك الناس» حديث حسن، رواه ابن ماجه، وغيره بأسانيد حسنة.

٢ - روايات والفاظ اخرى :

- * تعقّب ابن رجب، تحسين النووي للحديث، ثم بين انه ضعيف.
- * ثم اورد رواية مرسلّة، عن ربعي بن حراش، قال: جاء رجل الى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، دلني على عمل يحبني الله عليه، ويحبني الناس عليه، فقال: اما العمل الذي يحبك الله عليه، فازهد في الدنيا، واما العمل.. فانظر هذا الحطام فانبذه إليهم»، وفي رواية: فانبذ اليهم ما في يدك من الحطام».
- * وفي رواية: اياس مما في ايدي الناس تكن غنياً^(١).
- * وفي حديث قدسي: «ما تقرب اليّ عبدي المؤمن بمثل الزهد في الدنيا.. الخ»^(٢).

٣ - أهميته :

* عن ابي داود رحمه الله قال: اصول السنن في كل فن أربعة أحاديث، وعدّ منها

(١) الجامع ص ٢٦٤.

(٢) الاتحافات ص ١٥٢.

هذا الحديث^(١).

* وللحافظ أبي الحسن:

عمدة الدين عندنا كلمات أربع من كلام خير البرية
اتق الشبهات وازهد ودع ما ليس يعينك واعملن بنية^(٢)
فهو قد جمع في هذين البيتين أربعة احاديث تدور عليها احكام الاسلام، ومنها
هذا الحديث، وقد اشار اليه بقوله: إزهد.

* وقد جمع هذا الحديث السعادة العظمى الخالدة « وهي محبة الله تعالى»،
والسعادة الصغرى وهي محبة الناس.

٤ - شرح الحديث :

أ) البيان اللغوي:

- * الزهد الاعراض عن الشيء لا استصغاره، وارتفاع الهمة عنه لاحتقاره، من قولهم: شيء زهيد: قليل، ومنه قوله تعالى: «وكانوا فيه من الزاهدين»^(٣).
- * احبني الناس: بارادة المنفعة.
- * يجبك: بفتح الباء المشددة، واصله: يجيبك بالجزم في جواب الامر^(٤).
- * على عمل: ما يشمل الفعل والترك.

ب) المعنى الاجمالي:

اشتمل هذا الحديث على وصيتين عظيمتين، احدهما: الزهد في الدنيا، وإنه مقتضى لمحبة الله عز وجل لعبده، والثانية: الزهد فيما في ايدي الناس، وأنه مقتضى لمحبة الناس.

(١) قد سبق ذكر هذا القول والاستشهاد به غير مرة في حديث الاعمال بالنية والحلال، وحسن اسلام المرء.

(٢) الجامع / الطبعة المحققة ص ١٤.

(٣) آية ٢٠ من سورة يوسف. (٤) راجع القسم الثاني من الشرح.

٥ - بعض ما يرشد إليه :

• الاسلام دين متوازن ومتكامل . يجمع بين الواقع والمثال، بين أشواق الروح، ومستلزمات العيش الدنيوي، ولا يسمح بطغيان جانب على آخر، وحينما جهل هذه الحقيقة من جهلها من المسلمين، ضلوا ضلالاً بعيداً، اما المسلمون، فمن جهلها منهم، فقد وقع في مخالفات اعتقاديته وسلوكية ابتعد بها عن روح الاسلام وجوهره، ونستطيع أن نرد الانحرافات هنا إلى صنفين، ١- من اعرضوا عن الدنيا إعراضاً كاملاً كشرط اساسي اعتقدوه للفوز برضوان الله ونعيم الآخرة.

٢- من حصروا التدين في حسن المعاملة وكسب رضا الخلق، والسير مع الأهواء، وأما غير المسلمين، فإن من جهل هذه الحقيقة في الاسلام، قد افترى وطعن وشك وشكك غيره، واتهم المسلمين بالبعد عن الله، كالنصارى الذين زعموا المحبة في التجسيد، او اتهمهم باهمال الدنيا وعالم الناس، وان دينهم دين اشراقي صوفي روحي بحت.

• حرص الصحابة (رضي) على فعل الخيرات.

• لا يصح قول الناس: ان ارضاء الناس غاية لاتدرك، بل هي تدرك بما ذكر في الحديث.

• الدنيا، اذا لم يعرف الانسان معنى وجوده فيها، والحكمة من إيجادها، فإنها عندئذ تفقد قيمتها، وتصبح شيئاً تافهاً وحقيقراً، ويصير الاهتمام بها من أمارات الجهل والغفلة؛ وعلى ذلك تحمل الآيات الكثيرة والأحاديث، التي وردت في فم الدنيا.

• لايمكن ان يجتمع حب الدنيا وحب الله في قلب امرئ، لان من أحب الدنيا عظمتها واستعمل نفسه في خدمتها، وهذا يتنافى مع قوله تعالى: «وما خلقت الجن والانسن الا ليعبدون».

• من أحب الدنيا، واقبل على جمع حطامها، أعرض عنه الناس، لوجود معنى التنافس فيما بينهم على ذلك.

• ينبغي للمسلم ان يهتم بالناس، ويتحجب إليهم، ويتعدى عما يغضبهم من

الأفعال والأقوال والأحوال، وعليه فلا مكان في الإسلام للنظرية الصوفية التي عبرت عنها رابعة العدوية بقولها:

- فليتَ الذي بيني وبينك عامر : وليت ما بيني وبين العالمين خراب
- * الزهد في الدنيا ما زال شعار الصالحين، كما كان شعار الأنبياء.
 - * يمكن للمسلم أن يجمع في قلبه بين حب الله، وحب الناس، ولكن مع إثارة حب الله على حب غيره «والذين آمنوا أشد حبا لله.. الآية»، وبشرط أن لا يقف حب البشر حائلاً دون تحقيق مستلزمات محبة الله تعالى: من الجهاد في سبيله، والتضحية والتفاني في نصرة دينه، وموالاته أوليائه تعالى.
 - * إن أعظم وسيلة لاستجلاب محبة الناس وإكرامهم، الزهد في أموالهم، والتعفف وعدم الطمع فيما عندهم من الحظوظ: من مال، وجاه، ومتاع، وغير ذلك.
 - * اثبات صفة المحبة لله، على ما يليق بجلاله، وهناك من يتأولها على معنى إرادة الرحمة والثوبة، بينما معنى محبة الناس: إرادتهم المنفعة للمحجوب.

٦ - بعض تطبيقاته :

- * في الحديث: إذا أحب الله عبداً حماه عن الدنيا، كما يظل أحدكم يحمي سقيمة الماء^(١).
- * قال الإمام أحمد: أسرّ أيامي إليّ، يوم أصبح وليس عندي شيء.
- * قيل لأبي حازم الزاهد: ما مالك؟ قال: لي مالان، لا أخشى معها الفقر: الثقة بالله، واليأس مما في أيدي الناس^(٢).
- * قال ﷺ: «إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح، قالوا: فما علامة ذلك يارسول الله؟ قال: الانابة الى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله»^(٣).
- * وقال ابن القيم: لاتبتم الرغبة في الآخرة الا بالزهد في الدنيا^(٤).

(١) شرح الشرنوبلي / ص ٣٦. (٢) جامع العلوم ص ٢٥٤. (٣) الفوائد لابن القيم ص ٢٧.

(٤) السابق ص ٩٤

- * قال ابن قدامة: محبة الدنيا، ومحبة الله في القلب كالماء والهواء في القدح، اذا دخل الماء خرج الهواء، فلا يجتمعان»^(١)
- * قالت عائشة لعروة: كان يمر بنا هلال وهلال وهلال ما يوقد في بيت رسول الله ﷺ نار، قال: قلت: ياخاله: فعلى اي شيء كنتم تعيشون؟ قالت: على الاسودين، الماء والتمر^(٢).
- * قال سفيان بن عيينة: الزهد ثلاثة احرف: زاي، وهاء، ودال، فالزاي: ترك الزينة والهواء، ترك الهوى، والدال، ترك الدنيا^(٣).
- * وقال الشيخ عبد المجيد الشرنوبى في شرح الاربعين، على قوله ﷺ: وازهد فيما عند الناس...: اخذ بعضهم هذا المعنى ونظمه شعراً فقال:
- الناس اخوانك ما لم تكن تطمع فيما عندهم من حطام
فان تعرضت لاموالهم كنت عدواً لهم والسلام^(٤)
- * اورد النووي في رياض الصالحين باباً خاصاً بفضل الزهد في الدنيا.^(٥)
- * وقال ابن عطاء الله في حكمه: لو اشرق لك نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب اليك من أن ترحل إليها، ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها^(٦).
- * وقال: ما قلّ عمل برز من قلب زاهد، ولا كثر عمل برز من قلب راغب^(٧).
- * وقال: كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في مرآته، ام كيف يرحل الى الله وهو مُكبّل بشهواته،.. الخ^(٨).
- * وقال ابن القيم: القلب المعلق بالشهوات لا يصلح له الزهد.^(٩)
- * قال سفيان الثوري: الزهد في الدنيا قصر الامل، ليس باكل الغليظ ولا بلبس العباء، وقال: وكان من دعائهم: «اللهم زهدنا في الدنيا ووسع علينا منها، ولا تردها عنا فترغبنا فيها»^(١٠).
- * قال ابن عمر: لا يصيب عبدٌ من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله وان كان عليه كريماً^(١١).

(١) مختصر المنهاج ص ٣٥٣. (٢) السابق ص ٣٢٨.

(٣) شرح الشرنوبى ص ٣٦. (٤) السابق ص ٣٦. (٥) ص ٢٠٠.

(٦) الحكم/ ص ٣٠. (٧) السابق ص ١٢. (٨) السابق ص ٤. (٩) الفوائد ص ١١٨.

(١٠) الجامع ص ٢٥٦. (١١) السابق ص ٢٥٨.

- * وصّى النبي ﷺ جماعة من الصحابة: «ان يكون بلاغ احدهم من الدنيا كزاد راكب» منهم: سلمان الفارسي، وابو عبيدة، وابو ذر، وعائشة (رضي) (١).
- * قيل لبعضهم: ما الذي ازهدك في الدنيا؟ قال: قلة وفائها وكثرة جفائها، وخشية شركائها (٢).
- * قالت رابعة العدوية: ما أحب ان لي الدنيا كلها حلالا أنفقها في سبيل الله، وأنها شغلتي عن الله طرفة عين (٣).
- * قال الحسن البصري: «لا تزال كريماً على الناس، ولا يزال الناس يكرمونك ما لم تعاط ما في أيديهم، فاذا فعلت ذلك استخفوا بك وكرهوا حديثك وأبغضوك» (٤).
- * وقال ايوب السخيتاني: لا يقبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان: العفة عما في ايدي الناس، والتجاوز عما يكون منهم (٥).
- * قال اعرابي وقد دخل البصرة: من سيد أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن، قال: بم سادهم؟ قالوا: احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دنياهم (٦).
- * وقيل شعراً عن الدنيا:
فان تجتنبها كنت مسلماً لأهلها وان تجتذبها نازعتك كلابها (٧)
- * قال ابن قدامة: متى طلب السعة في المسكن «زيادة على الحجر»، وعلو السقف فقد جاوز حد الزهد (٨).
- * قال الشافعي: لو اوصى لأعقل الناس صرف للزهاد، وقال: طلب الزائد من الحلال عقوبة ابتلى بها أهل التوحيد.

٧ - مناقشة حول الحديث :

س ١) اذكر بعض تعريفات الزهد عند السلف ؟
ج ١) ١- قال ﷺ : الزهاده في الدنيا ان لا تكون بها في يدك أو ثق مما في يد

(١) السابق ص ٢٥٩ . (٢) السابق ص ٢٦١ . (٣) السابق ص ٢٦٢ .

(٤) السابق ص ٢٦٤ . (٥) السابق ص ٢٦٤ . (٦) السابق ص ٢٦٥ . (٧) السابق ص ٢٦٥ .

(٨) مختصر المنهاج ص ٣٤٩ .

الله . . . ، ورفع منكر والصحيح وقفه على أبي ذر^(١) .

٢- قال الفضيل: اصل الزهد الرضا عن الله^(٢) .

٣- وعن الحسن البصري: الزاهد الذي يرى غيره أفضل منه^(٣) .

٤- قال وهب بن الورد: الزهد في الدنيا: ان لا تأس على ما فات منها ولا تفرح بما أتاك منها^(٤) .

٥- سئل الزهري عن الزاهد، فقال: من لم يغلب الحرام صبره، ولم يشغل الحلال شكره: اي الزاهد في الدنيا اذا قدر منها على حرام صبر عنه فلم يأخذه، واذا حصل له منها حلال لم يشغله عن الشكر، بل قام بشكر الله^(٥) .

* قال ابو سليمان الداراني: اختلفوا علينا في الزهد بالعراق، فمنهم من قال: الزهد في ترك لقاء الناس: ومنهم من قال: في ترك الشهوات، ومنهم من قال: في ترك الشبع، ثم قال: وانا اذهب الى ان الزهد في ترك ما اشغلك عن الله عز وجل، قال ابن رجب: وهذا حسن، فهو يجمع جميع معاني الزهد واقسامه وانواعه^(٦) .

س٢ (ذكروا للزهد علامات، أذكر بعضها:

ج٢) ١- عدم الفرح بالموجود ولا الحزن على المفقود (الزهد في المال).

٢- استواء المدح والذم «الزهد في الجاه» .

٣- ان يكون أنسه بالله وحده، والغالب على قلبه: حلوة الطاعة^(٧) .

س٣ (ذكروا للزهد اقساماً وانواعاً، وضح ذلك.

ج٣) ٠٣- لم يكثر الناس الاختلاف على شيء كما اكثروا الاختلاف على الزهد

تعريفاً وتمثيلاً وتفريعاً وتقسيمياً، وكلُّ اشار الى ذوقه، ونطق عن حاله وعبر عن

وجهة نظره، واليك بعض هذه التقسيمات:

١- قال احمد: الزهد على ٣ أوجه: (أ) ترك الحرام - وهذا هو زهد العوام . (ب)

(١) الجامع ص٢٥٤ . (٢) السابق ص٥٥ (٣) السابق ص ٢٥٥ (٤) السابق ص ٢٥٥ .

(٥) السابق ص٢٥٦ .

(٦) السابق ص٢٥٧ .

(٧) مختصر المنهاج ص٣٥٢ .

ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص . (ج) ترك ما يشغل عن الله - وهو زهد العارفين^(١) .

٢- وقال ابن القيم : الزهد اقسام : أ) زهد في الحرام ، وهو فرض عين . ب) زهد في الشبهات ، وهو بحسب مراتب الشبهة فان قويت التحقت بالواجب وان ضعفت كان مستحباً . ج) وزهد الفضول .

د) وزهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال وغير ذلك ه) وزهد في الناس و) وزهد في النفس ، بحيث تهون عليه نفسه في الله^(٢) .

٣- قال ابن رجب : قسم كثير من السلف الزهد اقساماً ، فمنهم من قال : افضل الزهد : الزهد في الشرك ، وفي عبادة ما عبد من دون الله ، ثم الزهد في الحرام ، ثم الزهد في الحلال ، والقسمان الاولان كلاهما واجب والثالث مستحب^(٣) .

٤- وقال ابراهيم بن ادهم : الزهد ثلاثة اصناف : فزهد فرض ، وزهد فضل وزهد سلامة ، فأما الفرض ، فالزهد في الحرام ، والفضل الزهد في الحلال ، والسلامه : الزهد في الشبهات^(٤) .

س ٤) هل لا يوجد زهد مع كسب الحلال ، وتعاطي العمل المشروع ، وهل يشترط لذلك الاعراض التام عن الدنيا؟ اذكر ادلة ما تراه؟
جـ ٤) لا ، بل يمكن ان يكون المرء زاهداً ولو كان ثرياً ، وإليك بعض اقوال السلف في ذلك؟

١- قال في مختصر المنهاج : الضروريات المهمات ليست من الدنيا ، وهي في المطعم والملبس ، والمسكن ، واثاته ، والمنكح ، والمال ، والجاه^(٥) .

٢- وقال : قد يكون الغني زاهداً اذا كان قلبه مفرغاً عن الدنيا ، وقد يكون الفقير دنيوياً اذا اشتد حرصه ، وكان معمور القلب بالدنيا^(٦) .

٣- يؤيد ذلك : قول ابي سليمان : كان عثمان وعبد الرحمن بن عوف خازنين من خزائن الله في ارضه ، ينفقان في طاعته ، وكانت معاملتهما لله بقلوبهما ،

(١) الاتحافات ص ١٥٤ .

(٢) الفوائد ص ١١٨ . (٣) الجامع ص ٢٥٦ . (٤) السابق ص ٢٥٧ .

(٥) ص ٣٥٢ . (٦) السليق ص ٢٨٧ .

وقول مالك بن دينار: الناس يقولون مالك زاهد، انما الزاهد عمر بن عبد العزيز، قال ابن رجب: وقد اختلف العلماء: ايها افضل: من طلب الدنيا من الحلال، ليصل رحمه، ويقدم منها لنفسه، ام من تركها بالكلية؟ فرجحت طائفة من طلبها على ذلك الوجه، كابراهيم النخعي وغيره^(١).

٤- وقال ابو سليمان: ليس الزاهد من القى هموم الدنيا واستراح منها، انما الزاهد من زهد في الدنيا، وتعب فيها للأخرة^(٢).

٥- قال ابن رجب: فالزهد في الدنيا يراد به: تفرغ القلب من الاشتغال بها ليتفرغ لطلب الله، ومعرفته، والقرب منه، والشوق الى لقاءه^(٣).

٦- وروى عن ابي الدرداء مرفوعاً: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها الا ما ابتغى به وجه الله»^(٤).

٧- وقال يحيى بن معاذ: كيف لأحب دنيا قدر لي فيها قوت اكتسب بها حياة، ادرك بها طاعه، انال بها الآخرة^(٥).

س ٥ (كيف يمكن تحصيل صفة الزهد في الدنيا؟

ج٥) ١- بالنظر في طبيعة الدنيا، وسرعة زوالها، وخسستها، والم المزاحمة عليها، فطالبها لا ينفك من همّ، قبل حصولها وبعده، وبعد فواتها.

٢- النظر في الآخرة واقبالها ودوامها، وشرف خيراتها ودوامها وكمالها^(٦).

س ٦ (بين منشأ الزهد بأنواعه؟

ج٦) قالوا: الزهد في الدنيا بثلاثة أشياء، كلها من اعمال القلوب:

١- ان يكون العبد بما في يد الله اوثق منه بما في يد نفسه / وهذا ينشأ من قوة اليقين وصحته، بان الله سبحانه ضمن ارزاق العباد.

٢- ان يكون العبد اذا أصيب بمصيبة في دنياه، من ذهاب مال او ولد او غير ذلك، ارغب في ثواب ذلك مما ذهب منه من الدنيا ان يبقى له، وهذا ايضاً

(١) الجامع ص ٢٦١ . (٢) السابق ص ٢٦٢ .

(٣) الجامع ص ٢٦٢ .

(٤) السابق ص ٢٦٢ .

- وقال الحسن البصري، ليس من حبك الدنيا طلبك ما يصلحك فيها / الجامع ص ٢٥٩ .

- وقال ﷺ: «حُبَّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ وَالنِّسَاءِ وَالطَّيِّبِ... الخ / الجامع ص ٢٥٩ .

(٥) الجامع ص ٢٦٠ . (٦) الفوائد ص ٢٧ .

ينشأ من كمال اليقين، فقد كان النبي ﷺ يقول في دعائه: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به حبك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا»^(١).

٣- ان يستوي عنده الحامد والذام في الحق، وينشأ كذلك من كمال اليقين، قال ابن مسعود: اليقين: ان لا ترضي الناس بسخط الله^(٢).

س٧ (بين ارتباط الحديث بغيره من الاربعين.

ج٧) ان اقوى ارتباط له، هو بالأحاديث الثلاثة التالية:

١) حديث الاعمال بالنيات / حيث قابل بين الهجرة الى الله والهجرة الى الدنيا، وهذا يعني: ان من هاجر الى الله، هجر الدنيا حتماً.

٢) من حسن اسلام المرء: فهو يعني: ان لا يشتغل في الدنيا إلا بما يحبه الله لان هذا وحده هو الذي يهيم وينفعه.

٣) حديث: كن في الدنيا كأنك غريب.

(١) الجامع ص٢٥٥ . (٢) ص٢٥٥ .